جامعة ليدن

وليم الصامت

لعلَّ خير مثال يضرب على ما تتعرَّض لهُ معاهد العلم الحر — والعلم لا يكون علماً الاَّ اذا كان حرًّا — في بلدان أوربا المحتلة ، جامعة ليدن المشهورة في بلاد المشرق عن أُختها وآوتهم من علماء المشرقيات خاصة وما نشرته من كنوز الشرق العلمية النفيسة . ولكن ذلك لم يثنِ رجال الحكم النازي في هولندا عن ابعاد أبوابها وطرد اساتذتها او اعتقالهم

أن قصة نشأة جامعة ليدن من أروع القصص في تاريخ الفكر . ففي سنة ١٥٧٤ كان قد انقضى على الهولنديين نحو ست سنوات منذ ما ثاروا على المستبدين بالامر فيهم حينئذٍ وكانوا رجال الملك فيليب الثاني الاسباني

وكانت ليدن حينئذٍ محاصرة وكان سكانها قد علموا بالاختبار ما يكون مصيرهم اذا سقطت مدينتهم في ايدي محاصريها . ولكن الهولنديين احرار في طبعهم ونشأتهم وكانوا يدركون انهم اذا غلبوا فقد انطفأت في بلادهم شعلة الضمير الحر والفكر المطلق من قيود المستبدين . فلما دعوا الى التسليم أبوا . ولما اشتد الاعداء في حصرهم حتى جاعوا ، وفي اطلاق القنابل عليهم حتى دمرت بيوتهم ، صبروا على البلوى . ولكنهم نالوا اخيراً جزاء ما فعلوا ورفع الاسبان الحصار وعادت ليدن حرة وان كانت مهدمة

عند ذلك سألهم اميرهم « وليم الصامت » ان يختاروا بين اعفاء المدينة اعفاء دائماً من دفع الضرائب وبين انشاء جامعة فيها . فاختاروا الجامعة وفتحت ابوابها في سنة ١٥٧٥ وجعلت الآية المنقوشة على خاتمها « الحرية تتولى الامر »

وليس من يجحد ما لجامعة ليدن على العالم أجمع من أيد بيض في شتى العلوم

***

اما الآن فقد اقفلت ابواب هذه الجامعة العريقة . اقفلها رجال الحكم النازي في البلاد بدعوى ان طلابها كانوا نواة لمقاومة « النظام الجديد » . ولكن السبب الحقيقي هو ان البحث عن الحقيقة بحثاً حرًّا من كل قيد وهو غرض كل جامعة وقد تجلى تأثيره في مآثر جامعة ليدن مدى ثلاثة قرون ونصف قرن لا يتفق وفلسفة النازي ، ولا يلائم قواعد نظامهم السياسي القائم على آراء أُمليت بالتحكم ولا تحتمل أن تشهد البحث ولا ان تشرح على مائدة العلم

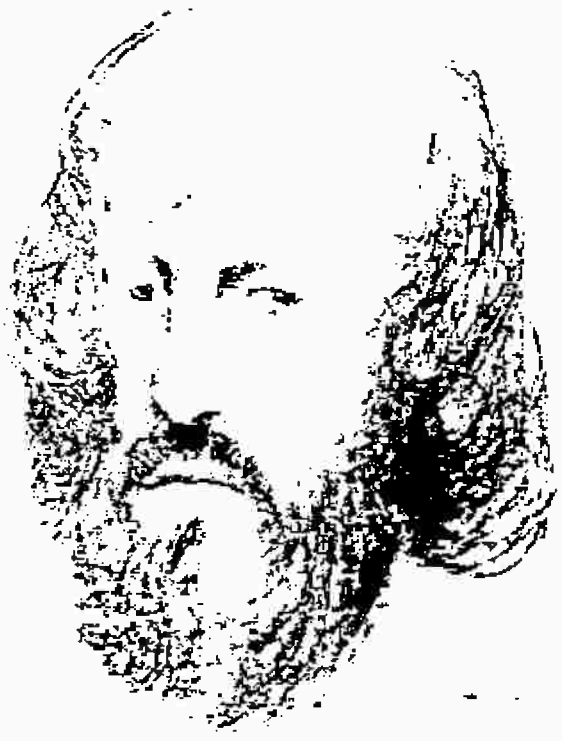

عبدالحی

(کم تصویر، ورق ۱ بعنوان حجاب حمد ـ